Journal of Education for Humanities

A peer-reviewed quarterly scientific journal issued by College of Education for Humanities / University of Mosul

Lnterpretation of dignity in the holy Quran:an analy tical

Seenaa Mohammed Salih Alalawi
Najaf Education Directorate / Najaf - Iraq

Article information

Accepted: 4/2/2025
Published 31/7/2025

Keywords
Dignity, the Holy Quran, the Sunnah of the Prophet.

Correspondence:
Seenaa Mohammed Salih
llwyh328@gmail.com

Abstract

The research contains an introduction and a Quranic verse, regarding the subject, one and consists of two sections. The first section: Definition of the first requirement, dignity, linguistically and technically, and its concept, where dignity was defined and its meaning was found in the Holy Quran, and the manifestations of honor, the mind, the physical composition, the prostration of angels to man, the caliphate on earth, the subjugation of what is in the universe to man, and the second requirement, the proof of dignity in the Quran and Sunnah and the reality there are Quranic verses that show the dignity of man, and noble prophetic hadiths, and the second section, the interpretive differences in verse 70 of Surat Al-Isra. As for the first requirement, its interpretation among the Imami Shiites, and the second requirement, its interpretation among the Sunnis, and the third requirement, the difference between the interpretation of Zubdat Al-Maasher Al-Kashani and the interpretation of Ruh Al-Maani Al-Alusi, and the result of the research was a match between some Shiite and Sunni interpretations, and praise be to God, and God is the Grantor of success.

DOI: ⁎**********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

تفسير الكرامة في القرآن الكريم دراسة تحليلية

سيناء محمد صالح العلوى

مديرية تربية النجف الاشرف / النجف – العراق

معلومات الارشفة

تاريخ القبول : ٢٠٢٥/٢/٤

تاريخ النشر : ٢٠٢٥/٧/٣١

الكلمات المفتاحية :

الكرامة، القرآن الكريم، السنة النبوية.

معلومات الاتصال

سيناء محمد صالح العلوى

llwyh328@gmail.com

الملخص

يحتوي البحث على مقدمة واية قرآنية، فيما يخص الموضوع واحدة ويتكون، في مبحثين المبحث الاول: تعريف المطلب الاول الكرامة لغةً واصطلاحاً ومفهومها، حيث عرفت الكرامة وبيت معناها في القرآن الكريم، ومظاهر التكريم، العقل، التركيبة الجسدية، سجود الملائكة للانسان، الخلافة في الارض، تسخير ما في الكون للانسان، والمطلب الثاني، ثبوت الكرامة في القرآن والسنة والواقع هناك آيات قرآنية بينت كرامة الانسان، وآحاديث نبوية شريفة، والمبحث الثاني الخلافات التفسيرية في الآية ٧٠ من سورة الاسراء اما المطلب الاول تفسيرها عند الشيعة الامامية والمطلب الثاني تفسيرها عند السنة والمطلب الثالث الفرق بين تفسير زبده المعاشر الكاشاني وتفسير روح المعاني الالوسي وكانت نتيجة البحث مطابقة مابين بعض التفاسير الشيعية والسنة والله الحمد والله ولي التوفيق.

DOI: *********** ,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن وبيّن فيه الآيات والبرهان، ووعد على طاعته الجنان، وأوعد على معصيته النيران، وبعّد من رحمته الشيطان، وقرّب منها من يأتي الإيمان، وهو ربنا المستعان على فكرة الجنان، وحركة اللسان، وخطّ البنان، والصلاة على نبي الحرمين، رسول الثقلين، وأمام القبلتين، محمد سيد الأولين والآخرين، وأصلي على أله الطيبين الطاهرين.

فيما بعد:

لقد غدا مصطلح (الكرامة الإنسانية) من أكثر المصطلحات تداولاً في المحافل الثقافية، المنظمات الاجتماعية السياسية ومؤسسات المجتمع المدني ووسائل الإعلام والاتصال والرأي العام بكافة مستوياتها. إن الحديث عن حقوق الإنسان والحريات الأساسية يتسارع وينمو وتتزايد الدعوات والمطالبات لحمايتها والدفاع عنها، وإنهاء

الانتهاكات الفردية والجماعية التي يعاني منها الناس في جميع أنحاء العالم الحريات مسألة الاهتمام والحضور المتزايد ومسألة (الكرامة الإنسانية) بكل تجلياتها ومصادقيها الخارجية.

لأن حجر الزاوية في أي مشروع للإصلاح والتغيير الإيجابي في أي مجتمع هو الكرامة الإنسانية وبدون احترام وجود الناس وآرائهم ومصالحهم، والوضع السياسي والقانوني للبلاد ودون حماية كرامة الأفراد والجماعات من الناس فإنه من المستحيل تطوير البرامج التعليمية ويكون الاستقرار العميق للأسرة والمنظمات الاجتماعية مهددا فلا تنمية شاملة في مجتمعنا دون الحفاظ على كرامة أفراد الأسرة ودون حماية حقوق الإنسان وكرامته، وكان تفسير القران ما تطرق الية الباحثون وذلك باستعمال كل الدراسات القرآنية واللغوية من بلاغة وصرف ونحو وقواعد اللغة العربية من تقديم وتأخير مثل قولة تعالى (اياك نعبوا واياك نستعين) الفاتحة –اية ٤–٥, وتفسير معاني المفردات واضافت الى ذلك دراسة التفاسير الشيعية والعامة من علماء الشيعة واهل العامة وفق على اقوال الروايات اهل البيت عليهم السلام واحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبهذا يكون تفسير اية من آيات القران الكريم استنادا على ذلك حيث بدون هذا الوسائل لا يمكن للباحث ان يتوصل الى مرحلة من مراحل التفسير، وجاء بحثي (تفسير الكرامة في القران الكريم –دراسات تحليله) كان سبب اختياري هذا: العنوان هو مقارنة الآية كقولة تعالى (ولقد كرمنا بني ادام وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثيرا ممن خلقنا تفضيلا) (الاسراء ٧٠) بين تفاسير الشيعة وتفاسير العامة وقد تناول البحث بدراسة الكرامة تقسم على مبحثين ويتكون المبحث الاول من مطلبين والمبحث الثاني من ثلاث مطالب، وهي (المبحث الاول: مفهوم الكرامة لغة واصطلاحا، و اهميتها

المطلب الاول: تعريف الكرامة لغة واصطلاحا و اهميتها

المطلب الثاني: ثبوت الكرامة بالقرآن، والسنة، والواقع

المبحث الثاني: الخلافات التفسير في الآية ٧٠ من سورة الاسراء

المطلب الاول: تفسير اية ٧٠ عند الشيعة الامامية

المطلب الثاني: تفسير اية ٧٠ عند اهل السنة

المطلب الثالث: المقارنة بين (تفسير زبدة التفاسير للكاشاني وبين تفسير روح المعاني للألوسي) ثم تأتي الخاتمة والتوصيات وفيها ابرز نتائج البحث ومن ثم قائمة المصادر والمراجع وقد تنوعت بين كتب التفاسير الشيعية والعامة، اما الصعوبات التي واجهتني من خلال بحثي ضيق الوقت ولا يسعني في هذا المقام الى الشكر الجميل الى الله سبحانه وتعالى، واني لا ادعي بلوغ الكمال بهذا البحث فان اصبت فهذا من ربي وان اخطأت فمن نفسي والحمد لله رب العالمين والسلام على اشرف الخلق ابا القاسم محمد اللهم صل على محمد وال بيت محمد.

المبحث الأول: مفهوم تعريف الكرامة لغة واصطلاحا ومفهومها

المطلب الاول: تعريف الكرامة لغة واصطلاحا ومفهومها

الكَرَامَةُ لغة:

اسْمٌ للإِكْرَام، مِثْلُ: الطاعَة للإِطاعَة، وهي من الكَرَم، وهو: ضدّ اللؤم، يقال: كَرُمَ الرجلُ يكرم كَرَمًا فهو كريم، ورجل كرّام: في معنى كريم، والمَكارمَ واحدتها مَكْرُمَة، وهو ما استفاده الإنسان من خُلق كريم أو طُبِع عليه. (نخبة من اللغويين، ١٩٨٠، ٢٣٠)

معنى الكرامة:

كثيُر من اللغويينً ذكروا أن الكرامةَ في مقابل أللآمةً والكرَم في مقابَل اللَوَمّ ومنُ هنًا نعرفً أن الكرامةً تعني العلًو والشرفَ.

يذكَر ابن قتيبةّ في كتابهُ الأشباًه والنظاًئر في القرآنُ الكريَمّ (أنَ جميَع ألفاظَ الكرامةّ ومشتقاتهاّ ترجّع إلّى معنىً واحد وهو الشرفَ)

وقال الكريَم لكَل ما يرضَى ويحمَد (الطريحى، ١٣٥٧، ١٥٢/٦)

(والكريًم، لا تستعملهَ العربّ إلا في المحاسَن الكثيّرة)

الكرامة في القرآن:

وردتَ لفظةَ كرّم بمشتقاّتها في القرآن الكرّيم تسعَة وأربًعين – ٤٩– مرةٍ ومن الآيات التي وردت قوله تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا (الاسراء: ٧٠)

وهذه الآية الشريفة تشكل القاعدة الأساسية لمعرفة نظرية الإسلام في كرامة الإنسان والتي نلخصها في التالي:

أولا: ذاتية الكرامة للإنسان

احترام الناس هو تعريف شخصي ونفسي لا يتأثر بالعوامل الخارجية مثل العرق أو العقيدة أو الجغرافيا أو اللغة وغيرها وقد ذكر العلامة الطباطبائي هذا المعنى عند تفسير لهذه الآية الشريفة وقال: (الاحترام يعني أخذ شيء

مميز وتكريمه مقابل ما لا يملكه الآخرون ولذلك فإن الشرف يختلف عن الامتياز لأن له معنى نفسيا يجعل منه كريما وكريما. (الطباطبائي، ١٣٥٣ش، ١٥٦/١٣)

وأكد على ذاتية الكرامة للإنسان من خلال هذه الآية الشريفة الشيخ جوادي آملي في كتابه الكرامة في القرآن ص ١٨

ثانيا: مظاهر التكريم

وتعطي الآية الكريمة صورة لتمييز الإنسان عن سائر الحيوانات، خاصة عندما تضاف إلى هذه الآية جميع الآيات الكريمة المذكورة في القرآن الكريم وأقوال أهل البيت فإنها تشير إلى تجلي مجموعة احترام الإنسان آل البيت (عليهم السلام) ومن علامات الاحترام:

١-العقل

وهو أنبل ما يميز الإنسان عن سائر الحيوانات، وهو المحور الأساسي لكل مظاهر الشرف الأخرى وأول ما يذكره المفسرون للآية الشريفة (ولقد كرمنا) يقول العلامة الطباطبائي (وباختصار فإن بني آدم يعتبرون متفوقين على سائر المخلوقات فيما أعطاهم الله إياه مما ميزهم عن غيرهم وهو العقل الذي يعرف الحق من الباطل والخير من الشر والمنفعة والخير والشر.) (الطباطبائي، ١٣٥٣ش، ١٥٦/١٣)

وقال الشوكاني (وأعظم خصال التكريم العقل فان به تسلطوا على سائر الحيوانات وميزوا بين الحسن ولقبيح وتوسعوا في المطاعم والمشارب وكسبوا الأموال

عن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: (أول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال الله عز وجل: وعزتي وجلالي ما خلقت أعظم منك بك أثيب وبك أعاقب. (الشوكي، ٢٠٠٧م، ٢٤٤/٣)

٢-التركيبة الجسدية

وهذا شرف آخر يميز الإنسان عن غيره من الحيوانات قال تعالى (في أي صورة ما شاء ركبك) (الانفطار: ٨).
وقال تعالى (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم (التين: ٤)

٣-سجود الملائكة للإنسان

إن أشرف المخلوقات التي يمكن أن نتصورها غير البشر هي الملائكة لكن الله أمرهم بالسجود للشخص الذي يمثله نبي الله آدم (عليه السلام) قال تعالى: (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) (الحجر: ٢٩) (وعندما ذكر الله تعالى الحياة والموت والخلق الثاني أتبعه ببيان الخلق الأول، فقال: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ) طين يابس يصلصل. أي: يصدر صوتًا عندما يصدر صوتًا – إنه غير مطبوخ، ولكن عندما ينضج، فهو طين وهو: الطلاق إذا نتن، مضاعف: الطلاق، لأن: أنتن اللحم، وأنتن العسر.

(مِنْ حَمَإٍ) طين تغيّر واسودّ من طول مجاورة الماء. وهو صفة صلصال، أي: كائن من حمإ (مَسْنُونٍ) مصوّر، من: سنّة الوجه، أي: صورته. أو مصبوب مفرّغ ليبس، كالجواهر المذابة تصبّ في القوالب، من السنّ وهو الصبّ تم تجويف الطين ونحته على شكل شخصية بشرية مجوفة، ثم تجفيفه ليصدر صوتًا، ثم تنعيمه وتحويله على مراحل حتى يتنفس روحه أو منتن، من: إذا دلكت حجرا دلك حجرا، وما يجري بينهما منتن، سنة. (الكاشاني، ١٢٥٠، ٥١٧/٣)

٤-الخلافة في الأرض

وتشير هذه الوظيفة إلى قدرة عظيمة يمتلكها البشر، ولا تمتلكها حتى الملائكة وقادرة على تحمل هذا الإيمان العظيم، قال تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) (البقرة: ٣١) (ثم فضّل النعمة الثالثة المشتركة بين البشر، وهي خلق آدم وشهرته وأمر أهل مملكته بعبادته، فقال: (وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) «إذ» ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى، يجب إضافتها إلى الجملة لأنها تستخدم في وقت نسبي عندما يحدث شيء آخر في المستقبل، كـ «حيث» في المكان لقد تم بناؤها على شكل استعارات لضمائر الوصل تم استخدامها لأغراض وصفية ومقارنة ومحلّهما النصب. (الكاشاني، ١٢٥٠، ١١١/١)

وقال تعالى: (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفق منها وحملها الإنسان انه كان ظلوما جهولا) (الأحزاب: ٧٢)

٥- تسخير ما في الكون للإنسان:

والواضح من الآيات القرآنية أن الله خلق الإنسان وسخره وهذا من أهم مميزات الإنسان على سائر الحيوانات، وهو أشرف منها حيث يقول الله تعالى: (الم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) (لقمان: ٢٠).

وقال تعالى: (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا) (البقرة: ٣١).

المطلب الثاني: ثبوت الكرامة بالقران، والسنة، والواقع

اقتضت حكمة الله تعالى أن يؤيد أنبيائه، ورسله، بالمعجزات، الدالة على صدقهم في دعوى النبوة؛ لئلا يكون للناس على الله حجة كما أعطى الله قديسيه معجزات من هذا القبيل لنصرة رسله وإظهار فضيلتهم وتوضيح موقفهم وقد حدثنا القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وسير الصحابة، والتابعين، وغيرهم عن أمثلة عديدة تثبت وقوع الكرامات لأولياء الله تعالى، وهذا يدل على أن الله تعالى يهتم بعباده الصالحين ويحفظهم في الأوقات الطيبة ويعينهم على حفظ وصاياه. كما يدل على أن الله تعالى أظهر لهم المعجزات لخرق قوانين الكون وتقوية إيمانهم ونصرتهم في الشدائد والشدائد ولم لا؟! وهم عباده المؤمنون وجنوده الصالحون الذين يؤمنون به ويتبعون رسله، قال تعالى: «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْأَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (يونس: ٦٢-٦٤), الله هو سيد المجد لأنه يملك السماوات والأرض يسبح من يشاء الناس الذين يعبدون الأصنام ليسوا واثقين من قوتهم، وإن يتبعون إلا الظن: إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون

ثم بين الله تعالى كمال ملكه وحكمه على الكون، وكذب الذين يأخذون الربا لنفسه، وكذب قول المشركين، لن يفلح أحد منهم، لأنهم يكذبون على الله. "قل إن الذين كذبوا على الله لن يفلحوا" لهم متاع الدنيا ثم إلينا يرجعون ثم نعذبهم عذابا شديدا بما كفروا وبعد ذلك يذكر الله تعالى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد ابتلي بالأنبياء من قومه يبدأ بالإشارة إلى نوح، الأب الثاني للبشرية، وما قاله لقومه عندما كثر مكانهم بينهم ويذكرهم بآيات الله وثقتهم به، وما رآه منهم وبسبب معاناتهم، عاملهم بلطف لذا قرر خطة معك ومع شركائك حتى لا تضطر إلى الشك في خطتك. فاعمل علي ولا تتأخر عني ولئن توليت ظهرك لم أسألك أجرا وما أجري إلا من عند الله وأمرت أن أكون من المسلمين كذبه قومه وآمن به الضعفاء - كما فعل محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - ثم أنجاه الله ومن معه في السفينة المحملة. وأرسل الله من بعده رسلاً فرفضوه ثم أرسل موسى وأخيه هارون إلى فرعون وأيده بآيات

الله المصدقه لرسالته ولكنهم كانوا قوماً مستكبرين مجرمين. ثم جاءهم موسى فجاء بتسع آيات بينات، فنزلت من البينات عصا موسى. (ابوزهرة، ١٣٩٤، ٤٩٨/٢)

أولًا: القرآن الكريم:

الكرامات التى تحدث عنها القرآن الكريم، كثيرة؛ نذكر منها الأمثلة الآتية:

نشأة مريم عليها السلام:

قال الله تعالى: «كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يرزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» (آل عمران: ٣٧)

قصَّ علينا الله تعالى ما كان من امرأة عمران؛ فقد نذرت له سبحانه ما في بطنها، وحررته لعبادته، وخدمة بيته، وقد تقبل الله نذرها بقبول حسن، مع أنها ولدت أنثى، فقد كان لا يُقبل لخدمة بيت المقدس إلا الذكور، وأنبتها الله نباتًا حسنًا، وحفظها من كل سوء، وضمها إلى زكريا عليه السلام؛ ليكفلها، ويقوم على رعايتها.

قال ابن كثير في تفسيره: أخبر سبحانه وتعالى عن سيادتها وجلالتها في محل عبادتها، فقال: «كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا» قال عكرمة وغيره: يعني: وجد فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، وعن مجاهد (وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا) أي: علما، أو قال: صحفًا فيها علم؛ رواه ابن أبي حاتم، والأول أصح، وفيه دلالة على كرامات الأولياء.

وقال القشيري في تفسيره: "قوله جلّ ذكره: «كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ»: ومن العلامات المعروفة أنه لم يوجد إلا في أماكن الصلاة، ومن كان مسكنه أو مكان عبادته مكانا للصلاة فهو عبد كريم وهو: من العلامات المقبولة أنه ترك جميع أموره وهمومه إلى زكريا ولم يترك سلامه إليه؛ فلما ذهب إليه زكريا ليزوده بالطعام حصل معه على طعام، ليعلم العمال أن الله القدير لا يوكل رعاية قديسيه إلا إليه.

ثم كان زكريا عليه السلام يقول: «أَنَّى لَكِ هَذَا» لأنه لم يعتقد أنها تستحق المنصب وكان يخشى أن يضربه شخص آخر ويغتنم الفرصة لتولي المنصب، فكان يسأل ويقول: «أَنَّى لَكِ هَذَا» ومن أتاكِ به؟ فقالت مريم: ليس من الخلق بل من الله فنال زكريا تعزيتين: الأولى: الشهادة بمكانته وكرامته أمام الله تعالى والثانية: ألا يفوقه أحد في رعايته، ولا يفوقه أحد.

وقوله: «كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ» فلفظة كلَّما للتكرار. ومنها: أن زكريا عليه السلام كان يتغذى به، ولكنه لم يهمل في الاعتناء به بل كان يفحص صحته يومياً وفي كل ساعة؛ لأن معجزات القديسين ليست مستمرة بشكل مطلق ولذلك، لأن الله يستطيع أن يظهر لهم ذلك دائماً وقد لا يظهره لم يكن لدى زكريا عليه السلام أي أمل، فتفقد حاله ثم كان يُجَدِّدُ السؤال عنها بقوله: (يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا)؟ ولأن الله القدير لا يتحمل أي مسؤولية، فإن ما هو اليوم قد لا يكون كما كان بالأمس. وقوله: (إِنَّ اللَّهَ يرزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) وبيان طبيعة التوحيد وأن رزق عباده وإحسانهم يكون بمشيئته بغض النظر عن طاعتهم أو وسائل عبادتهم.

ولادة مريم لعيسى عليهما السلام:

قال تعالى: (فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا. فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا... وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) (مريم:٢٢- ٣٣) وهكذا نجد أن الأمر بدأ بحكمة الله القدير، وإصرار يوحنا على أن السلام يتم بواسطة شيخ كانت زوجته عاقرًا يتناقض مع السبب والنتيجة ثم يأتي سبحانه بلا أب مع خلق المسيح فيكون حضوره وسلامه معجزة لأنه عبد عباد الله ويختمها بالمعجزة الكبرى؛ وهو القرآن؛ فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لداذكر رحمت ربك عبده زكريا "ذكر "؛ خبر كهيعص وهذا يشير إلى أنها الكتاب؛ أو بعضه؛ و "عبده "؛ منصوبة بالرحمة; لأن الرحمة مصدر بمعنى المرة من "الرحم "؛ ويصح أن يجعل مفعولا لـ "ذكر "؛ إن إضافة رجل إلى الرحمة يشبه إضافة مورد إلى وكيل ونحن نرى أن هذا بعيد المنال ويحتاج إلى تفسير الأشياء التي لا تحتاج إلى شرح أفضل من التفسير. (زهرة، ١٣٩٤، ٤٦/٢)

يخبرنا الله سبحانه وتعالى أن السيدة مريم بعد أن حملت بعيسى عليه السلام، ابتعدت به عن قومها؛ مخافة أن تُتَّهَمَ بسوء، ولما حان وقت ولادتها، وأعياها التعب، ألجأها المخاض إلى جذع النخلة، لتتكئ عليه.

وقد اشتملت قصة ولادة السيدة مريم لعيسى عليهما السلام على كرامات عدة؛ منها: أن الله سبحانه قد أجرى لها النهر الجاف بالماء العذب، وأنبت لها الجذع اليابس بالرطب الطري، وأنطق لها عيسى في مهده؛ تأكيدًا علي عبوديته لله سبحانه، وتبرئةً لها مما قُذِفت به من فاحشة، وإرهاصًا بنبوته عليه السلام.

قال الإمام أبو السعود في تفسيره: "قوله تعالى: (فَنَادَاهَا) أي: جبريلُ عليه السلام (مِن تَحْتِهَا)قيل: إنه كان يقبل الولد، وقيل: (مِن تَحْتِهَا) أي: من الأرض في الأسفل، من تحت التل وقيل أيضاً: من تحت النخلة وأيضاً: دعاه عيسى عليه السلام، (أَلَّا تَحْزَنِي) أي: لا تحزني (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ)أي: بمكان أسفل منك (سَرِيًّا) كما قال النبي نهر صغير: فضرب جبريل عليه السلام برجليه الأرض، فظهرت عين ماء عذب وتدفقت في النهر وأيضاً: قال

يسوع إنه تصرف كالسلام. وأيضاً: وكان في ذلك الوقت نهر يابس سقاه الله تعالى مثل النخلة، فهي نخلة يابسة ليس لها رأس ولا ورق، وليس لها ثمر ولأنه كان شتاءً، فقد أعطاه الله في ذلك الوقت رأساً وجريداً وثمراً. وأيضاً: كان هناك ماء جاري الأول: ما يتفق مع سياق تفسير ظهور المعجزات وما يفهم من النظام الكريم.

قوله: (وَهُزِّي إِلَيْكِ) أي إلى جهتك (تُسَاقِطْ عَلَيْكِ) أي: تُسقِطِ النخلة (رُطَبًا جَنِيًّا) أي: طريًا طيبًا (فَكُلِي وَاشْرَبِي) أي: ذلك الرطبَ وماءَ السَّريِّ (وَقَرِّي عَيْنًا) لقد جعل الله عز وجل بيتك خاليا مما في قلوب الرجال فكن هادئا واترك كل ما يحزنك أو يقلقك".

وقال ابن عاشور في تفسيره: قوله: (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا) ومن البركة له أن يحمل جذعه اليابس ثمرا رطبا ببركة تحريكه.

وقال ابن كثير في تفسيره: قوله: (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا) أي: فشكوا إليه واتهموه في أمره وأخبروه بما قالوا وهددوه بالبهتان والكذب ولما صام وسكت ذلك اليوم رفع إليه الأمر وأرشده في كلامه والكلام لذلك استهزأوا به واحتقروه ظنا منهم أنه يمزح: (كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا)، قال السدي: فلما أشار إليهم غضبوا وقالوا: يأمرنا أن نكلم هذا الغلام، استهزاء بنا أشد من زناه. (قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا) أي: من مهد في الطفولة والشباب وكيف يتكلم؟

وقال الألوسي في تفسيره: "قوله تعالى: (قَالَ) استئناف مبني على سؤال نشأ من سياق النظم الكريم، كأنه قيل: فماذا كان بعد ذلك؟ فقيل: قال عيسى عليه السلام (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ). وهي التي كانت ترضع السلام، توقفت عن الرضاعة عندما سمعت ما قالوا، وأدارت وجهها نحوهم، وانحنت إلى اليسار وأشارت بسبابتها، وقالت ما قالت فالتفت إليه زكريا ليسلم عليه فقال هذا، (إِذْ نادى رَبَّهُ نِداءً خَفِيًّا) دعا ربّه دعاء خفيّا. فالإخفاء والعلانية سواء عند الله ولكن الخفاء أكثر خضوعا وأصدق. وفي الحديث: «خير الدعاء الخفيّ، وخير الرزق ما يكفي». (الكاشاني، ١٢٥٠، ١٥٩/٤)

قالت: «المكالمات مقيدة حتى لا يسخر منك سؤال الولد في الكبر» و: انظر إلى الشيخ الذي يقلق من سؤال الولد في كرسيه. أو حتى لا يعرف أصحابه المخيفون أمره. أو أن عجز الشيخوخة قد حجب صوته.

وفي ذلك الوقت كان هناك اختلاف في الرأي حول السنة وهي: الستون وهو: السد وهي: خمسة وسبعون.

وقيل: خمسة وثمانون وهي: تسعة وتسعون.

ثمّ فسّر النداء بقوله: (قالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي) أي: ضعف ويتم التأكيد على العظام لأنها أصل سند الجسم وأساسه وبنيته فإذا ضعفت فقدت قوتها ولأنه أصعب شيء، فإذا ضعف ضعف ما خلفه ولما كانت خصوصيته وحدها تدل على معنى القبيلة، فإن غرضه أن هذا النوع الذي هو أقوى جزء يتكون من الأساس والجسم، مصاب بالضعف ولو كانت جمعًا لكان لها معنى مختلف، ليس فقط بعض العظام، بل جميعها فيذكر أولاً عبوديته لله تعالى؛ فإن الاعتراف بها هو أول مقام السالك، والرد على من يعتبرها إلهية وفي كل ما يقوله تنبيه على براءة أمه، فإنه يدل على الاختيار، وسبحانه أعظم من أن يختار الابن المسرف وهذا يقين منهم وبر أمه صلى الله عليه وسلم ليس بلفظ صريح، ويقال: فإن الله تعالى لا يعلم الولد الموصوف فيما ذكر إلا البريء المختار واختلف في أنه بعد أن تكلم ما تكلم استمر في الكلام مثل الرجال، أو أنه لم يتكلم حتى بلغ من العمر ما يكفي ليتكلم الصبيان ولعله يعد ممن تكلم في المهد، ثم لم يتكلم حتى يقع الوقت المعتاد في الحالة الثانية، صلى الله عليه وسلم.

قصة أصحاب الكهف:

قال الله تعالى يصف حال أصحاب الكهف: (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا) (الكهف: ١٧)

يقص الله سبحانه علينا قصة أصحاب الكهف، وهم فتية آمنوا بربهم، وخافوا أن يُغلبوا على أمرهم، ويُرَدُّوا إلى الكفر بعد أن أنقذهم الله منه، فخرجوا من القرية، واعتزلوا قومهم، مُهاجرين بدينهم، فيسر الله لهم غارًا في الجبل، وضرب على آذانهم حجابًا ثقيلًا مانعًا من السماع، فصاروا لا يسمعون شيئًا يوقظهم، واستمروا في هذا النوم العميق ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعًا.. يقلبهم الله ذات اليمين وذات الشمال.. في الصيف، وفي الشتاء.. لا يزعجهم الحر، ولا يؤلمهم البرد.. ما جاعوا، وما عطشوا.. ولم تتغير أجسادهم.. فهذه كرامة بلا شك، وقد بقوا هكذا حتى بعثهم الله، وقد زال الشرك عن هذه القرية، فسلموا من شركهم (الكاشاني، ١٢٥٠، ٩٢/٤).

قال الإمام الألوسي في تفسيره: قوله: (وَتَرَى الشَّمْسَ): بيان لحالهم بعد ما أووا إلى الكهف، والمراد: لو رأيت الكهف لرأيت الشمس تميل عنه ذات اليمين وذات الشمال. وقوله (تَّزَاوَرُ): من الزور بمعنى الميل. ومعنى (تَّقْرِضُهُمْ): تقطعهم وتتجاوزهم وتتركهم.

وقال الإمام الرازي في "مفاتيح الغيب": قوله: (تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ) أي: تعدل عن سمت رؤوسهم إلى جهة الشمال. وللمفسرين هنا قولان:

القول الأول: وكان مدخل ذلك الكهف مفتوحا من جهة الشمال، فإذا طلعت الشمس كان في جهة الغرب، وإذا غربت كان في جهة الشرق داخل الكهف لم يكن هناك ضوء الشمس، والهواء النقي ونسيم لطيف والمقصود أن الله تعالى حفظ أهل الكهف من التعرض لأشعة الشمس، وإلا حفظت أجسادهم من التعفن والقول الثاني معناه أنه ليس هذا ولكن الله يمنع الشمس من أن تشرق عند طلوع الشمس وكذلك عند غروب الشمس وكان هذا عملاً عظيماً وشرفاً عظيماً أعطاه الله تعالى لأهل الكهف، وهذا قول الزجاج واحتج على صحته بقوله: (ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ)، قال: ولو كان مثل أصحاب الرأي الأول المذكورين لكان مألوفاً ومألوفاً وبالتالي لم يكن من آيات الله ولكن لو فسرنا هذه الآية بالمعنى الثاني لكان شرفاً عظيماً، ولكان من آيات الله وبعد ذلك يعلمون أن العلي قد أخبرنا أن نسيم الكهف البارد والريح في المساحة الواسعة التي تصل إليهم قال: (وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ) أي من الكهف، والفجوة متسع في مكان.

وجاء في تعليق وسط تفسير قول الإمام الرازي: ومع صحة الرأيين إلا أن النفس تفضل الرأي الثاني؛ لأن قوله تعالى: (وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ) وهذا يدل على أن مكان نومهم على الرغم من اتساعه لا يصلهم لا عند شروق الشمس ولا عند غروبها وهو أمر غير معتاد ويدل على غرابة حالهم كما أن قوله تعالى بعد ذلك: (ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ) يشعر أن هناك شيئًا غريبًا في هؤلاء الأشخاص، ليس عاديًا أو مألوفًا (الرازى، ٢٠٠٠، ١٧٤/٣).

وقال القشيري في تفسيره: فلما تركوا ما يعبدون من دون الله آواهم الحق في كنفه وأعد لهم داراً في كهف رعايته وهذا: من يرفض اختياره في الخداع، ويخلص الرجوع إلى الله في أحواله ولا يستعين بغير الله في صورته يتولاه الله برحمته الذي يزيل ما يكفي من كل همومه، ويهيئ له مكانًا يجد فيه برد ظله في كمال تقواه.

ثانيًا: السنة النبوية:

وردت في السنة النبوية أحاديث كثيرة، تتحدث عن وقوع كرامات من الله سبحانه لعباده المتقين، وهي في معظمها ترتبط بأخبار الصالحين من الأمم السابقة، وليس في ذلك قصرًا لوقوعها على مَنْ سبق، وإنما هو إثبات لجواز وقوع الكرامات لعباد الله سبحانه، في أي زمان ومكان؛ تشريفًا لهم، وتأييدًا. ومن هذه الأحاديث:

مَا رَوَاه ابْنُ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ، إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ، فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلَاءِ لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ. فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ، فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ، فَزَرَعْتُهُ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ، فَسُقْهَا. فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ. فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ

الْبَقَرِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرَقِ، فَسَاقَهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ. فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا، وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنْ الْجُوعِ، فَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ. فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ. فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ، مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَأَبَتْ إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا. فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، فَقَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ. فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَخَرَجُوا". (العسقلانى، ١٤٠٢، ٥٨١)، بيَّنَ هذا الحديث الشريف ما كان من أمر النفر الثلاثة؛ الذين حاصرتهم الصخرة، ولم يجدوا وسيلة للخروج إلا أن يدعوا الله سبحانه بصالح أعمالهم؛ حتى يفرج الله عنهم ما هم فيه. وقد دلت أعمال النفر الثلاثة على فضل الأمانة، وحفظ حقوق الناس، وعلي بر الوالدين، والإحسان إليهما، كما دلت على فضل العفة، والبعد عن الفواحش، وعمَّا حرم الله تعالى.

ولا شك أن هذه الأعمال، تأتي في مقدمة الأعمال الصالحة؛ التي تُسْتَمْطَرُ بها رحماتُ الله، وتُفَرَّجُ بها الكرب والشدائد. وقد أزاح الله عنهم الصخرة، وأظهر لهم كرامته، فكان ذلك دليلًا على صدق أعمالهم، التي تقربوا بها إلى الله تعالى.

قال ابن حجر في "فتح الباري": "وفي هذا الحديث أنه يستحب عند الشدائد التقرب إلى الله تعالى بالصلاة، وذكر الخيرات، والوفاء بالوعد بالسؤال. وقد ذهب بعض الفقهاء إلى أنه من المناسب ذكره في صلاة الاستسقاء وقال المحب الطبري إنه صعب لأنه يشمل النظر إلى الأعمال، والأفضل تركه عند الاستسقاء في الصلاة مكان الصلاة وأجاب عن قصة أهل الكهف حيث لم يستغفروا لأعمالهم، بل سألوا الله إن كانت أعمالهم صادقة ومقبولة وسأل الله أن يخفف من أجرهم، فالسؤال في إجابته ولكن مع هذا الحد، أمر جيد ذكر ذلك النووي وقال في كتاب الذكر: «باب دعاء الله بالصلاة والعمل الصالح» وذكر هذا الحديث ونقل من رواية القاضي حسين وغيره وقال في استسقاءه: ويقال: فيه ترك الضرورة لكنه يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم يمدح أعمالهم قال السبكي الكبير: وقد بدا لي أن الضرورة تعجل ثواب أعمال معينة في الدنيا، وهذا منها ثم بدا لي أن الحديث ليس فيه فكرة عن الفعل لأن كل واحد منهم قال: "لو تعلمون أني فعلته من أجلكم"، لم يصدق أحد منهم عمله بل حول مشاكله إلى الله. فإذا لم يقتنعوا حقاً (التاودي، ١٩٧١، ٣/١-٦)، ورغم أن هذا هو أفضل أعمالهم، إلا أن البعض الآخر يستحقه وفي مثل هذه الحالة يفهم الإنسان أنه من الصواب أن يعتقد أنه ناقص، وأن تكون لديه صورة سيئة عن نفسه وأن يبحث عن كل فعل يقوم به بإخلاص يفوض أمره إلى الله ويجعل الصلاة معتمدة على علم الله ثم يرفض

ويرفض أن يحصل على إجابة لدعائه إذا كنت لا تعتقد أن حتى فعلًا واحدًا يكون صادقًا، فإنك تتوقف عند الحد الأقصى وتخجل من أن تطلب فعلًا غير صادق" ثم قال ابن حجر: وفيه فضل العفة، والانكفاف عن الحرام مع القدرة. وأن ترك المعصية، يمحو مقدمات طلبها، وأن التوبة تَجُبُّ ما قبلها. وفيه فضل أداء الأمانة، وإثبات الكرامة للصالحين.

المبحث الثاني: الخلافات التفسيرية في الآية ٧٠ في سورة الاسراء

المطلب الاول: تفسيرها الآية ٧٠ عند الشيعة الامامية وعند علماء اهل العامة

اولاً: عند الشيعة الامامية: العامة.

١–تفسير قولة تعالى (ولقد كرمنا بني ادام وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا (الاسراء: ٧٠)

وفي قولة تعالى: (ولقد كرمنا بني ادم) احترام الناس هو تعريف شخصي ونفسي بغض النظر عن العوامل الخارجية مثل العادات والمعتقدات والجغرافيا واللغة وغيرها. ويذكر العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية الكريمة هذا المعنى فيقول: (الإكرام هو الاهتمام بالشيء، واحترامه، وإعطاؤه ما ليس من غيره وفي هذا يختلف عن التفضيل لأن التكريم له معنى نفسي، وهذا بحد ذاته يجعلك محترماً وكريماً. (الطباطبائي، ١٣/١٥٦–١٥٧)

وقوله: (وحملناهم في البر والبحر) أي: نركبهم في السفن والبهائم وغيرها ونأخذهم إلى مقصدهم ويبتغون فضلا من ربهم ورزقهم وهذا دليل على كرامتهم.

وقولهم (ورزقناهم من الطيبات) كل ما يتم الاستمتاع به والاستمتاع به والاستمتاع به والاستمتاع به في بركات الفواكه والخضروات يسمى طعامًا بل هو أيضا علامة الشرف ومثال هذا التكريم الإلهي أن تتم دعوته لزيارة ضيافة ثم يكرمه على ظهور الخيل ويقدم له كل أنواع الخير الطعام لذيذ، إنه لشرف.

وقوله (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)وبما أن الله تعالى خلق أمم الأرض مثل الإنس بعد أجناس الحيوانات، فليس من المستبعد أن يكون الأشخاص الذين خلقناهم يشيرون إلى أنواع الحيوانات والجن المؤكدة في القرآن ويجد فيهم طريق العقل الأصلي وفضلنا بني آدم على كثير مما خلقنا من خلق. بالنسبة للعديد من الأشخاص الذين هم ملائكة فهم خارج نطاق المناقشة لأنهم كائنات نورية لا وجود لها في الفضاء ولا تدخل في نظام الكوني. ومتى قبل اذا كان معنى التكريم والتفضيل واحد فما معنى التكرار (فجوابه) ان قوله (اكرمنا) يبنى عن الانعام ولابني عن التفضيل فجاء بلفظ التفضيل ليدل عليه وقبل ان التكريم بتناول نعم الدنيا والتفضيل يتناول نعم الاخرى وقبل اذا التكريم بالنعم التي يصح بها التكليف والتفضيل بالتكليف الذي عرضه به للمنازل العالية (الطبرسي، ١٤١٥، ٣/٥٢٧)

لما تقدم قوله ابليس (هذا الذي كرم علي), ذكر سبحانه بعد ذلك تكريمه لنبي ادم بأنواع الاكرام وفنون الانعام، وقيل انما عمهم بالتكرمة مع ان فيهم الكافر المهمان لان المعنى اكرمنا بالنعم الدنيوية كالصورة الحسينية وتسخير الاشياء لهم بعث الرسل اليهم كما كرمهم سبحانه وتعالى بالقوة والعقل والنطق والتميز وبتسليطهم على غيرهم، وتسخير سائر الحيوانات لهم الى غير ذلك من نعم الله تعالى على الادميين ظاهرة وباطنه (الناصري، ١٩٨٠ ٢٣١/١١)

ولقد كرمنا بني آدم بالذكاء، والكلام، وحسن المظهر، وتوازن الأجسام، والتحكم في الدنيا والآخرة، والتحكم في ما في الدنيا، والقدرة على قهر جميع المخلوقات والقيام بها المصانع وأشياء أخرى لا تعد ولا تحصى. وحملناهم في البر والبحر على البهائم وفي السفن ورزقناهم من الطيبات والطيبات وفضلناهم على أناس كثير خلقناهم الأمالي عن الصادق (عليه السلام) في هذه الآية قال: «فضلنا بني آدم على سائر الخلق وحملناهم في البر والبحر أي الرطب» والأرض اليابسة ورزقناهم من كل طيبات الثمر الطيب وفضلنا عليهم أي لا يوجد دابة ولا طير يأكل ولا يشرب في ظلها ولا في فمها ولا فيها،

والعياشي عن الباقر عنه (عليه السلام) وفضلناهم على كثير قال خلق كل شيء منكبا غير الانسان خلق منتصبا. والقمي عنه (عليه السلام) ان الله لا يكرم روح كافر ولكن الله تعالى كرم ارواح المؤمنين وانما كرامة النفس والدم بالروح الطيب هو العلم هو العلم وعن امير المؤمنين (عليه السلام) في صورة الادميين انهما اكرام صورة على الله تعالى (الكاشاني، ١٢٥٠، ٢٠٥/٣-٢٠٦)

اخبر اله تعالى (انه كرم بني ادم) لقد أظهر النبي آدم الاحترام حتى لو كان بينهم كفار لأنه معناه أننا كرمناه بالنعم بعض الناس: وهذا مثل قوله: (كنتم خير امة اخرجت للناس) (آل عمران: ١١٠)

فطبق تلك الشخصية على جماعتهم لمن كان منهم تلك الشخصية ثم رفع الله عز وجل النبي وحمله من البر والبحر كما حمل النبي آدم على الإبل وغيرها، كما قال تعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينه) (النحل: ٨)

وخلق البحر والسفن لتطفو فوق الماء بواسطة الريح لتسد احتياجاتهم (ورزقناهم من الطيبات) فالفواكه والطيبات ومعنى متعتها أعطيت للنبي آدم امتيازا ولم يبشر بأنواع النعيم التي فيها وقال: إن النبي آدم يأكل الطعام بيديه أكثر من غيره، لأن غيره يأكل بشهوة وهو قائم ليس على أربع ولا على رجلين.

وقولة تعالى (وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا) وهذا لا يعني أنه يفضلهم بالمكافآت، لأن المكافآت لا تعطى في البداية ولكنه فضلهم في البداية بأن خلق لهم من النعم والمتع المختلفة ما لم يخلق لأي مخلوق ولكنه فعل ذلك من أجل رضاء العلي، ومن أجل لطف الحكيم ومن أجل الخير الذي تم ترتيبه وتحقيقه بهذا التفسير، واستدل جماعته بقول: (وفضلنا هم على كثير ممن خلقنا) على تفضيل الملائكة على الانبياء، قال لان قوله (على كثيرا ممن خلقنا) بل هناك من لا يفضلهم عليهم إلا الملائكة، فإن ابن آدم أفضل من جميع الخلق بلا منازع إلا الملائكة

وهذا كما قلنا باطل ومعنى ذلك تفضيل بركات الدنيا ولطفها وما ليس كذلك فهو أجر البدء بمكافأة غير مسموح به. (الطوسي، ١٤١٧، ٥٠٣/٦)

المطلب الثاني: تفسيره الآية ٧٠ من سورة الاسراء عند علماء السنة قولة تعالى (وقد كرمنا بني ادام.. الى قولة تعالى خلقنا تفيلا)

قال المراد فضلناهم على ما سوى الملائكة.

الشيخ قال احمد: لقد وصل إلى حد الغباء الفاحش، فلا نجادله بالعلم لا بالغباء ليس هناك من ينكر أن خصوصية هذه الآية وثيقة الصلة بالجميع ألا ترى أنه ورد أن القليل لا شيء اختاره الزمخشري في قول الله تعالى: (فقليلا ما يؤمنون –والأمثلة المشابهة كثيرة، وقد أشار الشاعر في كلامه إلى أن "الأصوات فيه قليلة إلا مساحته"، ويمكن ترك الأصوات فيه كما تعبر عنها، ويمكن القول بأنه هو "مخلوق مخلوق" أحدهما يسمى بني آدم وهو بقية الخلق والجزء الآخر والبقية أفضل منهم بلا شك وإن لم يكن أكبر منهم حتى قوله: "وفضلناهم على كثير من الناس" "خلقنا" هو فوق كل مخلوق، وتلك الأتربة كثيرة بلا معنى، وهو مرادف لقول: "فضلناهم على كل شيء" إلا تلك التي صنعناها، مظاهر الآية اذا مع الا شعرية الذين سماهم محيره ومتشدق في سبهم وتقشف العبارات في سلبهم و ما يلفظ من قولة تعالى الا لدية رقيب عنيد والله ولي التوفيق والسداد) (الزمخشري، ١٤٠٧، ٤٥٨/٢)

قولة تعالى (ولقد كرمنا بني ادم، روى عن ابن عباس انه قال: هو انهم يأكلون بالأيدي وغير الأدميين يأكل بغية من الارض. وروى عنه انه قال: هو انهم يأكلون بالأيدي و غير الأدميين يأكل بغية من الارض. وروى عنه انه قال: بالعقل وقال الضحاك: بالنطق. وقال عطاء بتعديل القامة وامتدادها، والدواب منكبة على وجه وهو: حسب الصورة. وهي: الرجال ذوو اللحى، والنساء ذوات الجبين وقيل: سائر الأشياء خاضعة لها ويقال أنهم خير أمة بالنسبة لناس (وحملناهم من البر والبحر) أي: حملناهم في البر كالبهائم وفي السفن في البحر ورزقناهم من الطيبات أي الطعام والشراب اللذيذ ويقول مقاتل: السمن والزبد والتمر والحلو وأعد للآخرين أشياءً لا تخفى (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)

والمعنى الواضح للآية هو أنه لم يفضلهم على الطعام، بل على الكثير من الناس الذين خلقهم وقال بعضهم: إنه يفضلهم على جميع الخلق إلا الملائكة. وقال الكلبي: وفضلهم على جميع الخلق إلا جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت. فالملائكة يختلفون في تفوقهم على البشر وبعض الناس: هم أفضل من كل الخلق، وأفضل من كل الملائكة يمكن تفسير معظمها من خلال شرح كل شيء كما قال تعالى (هل انبئكم على من تنزل الشياطين، وقولة تعالى واكثرهم كاذبون) أي: كلهم، وفي حديث عن جابر قال: لما خلق الله عز وجل آدم وذريته قالت الملائكة: يا رب خلقتهم ليأكلوا ويشربوا ويتزوجوا، فاخلق لهم الدنيا ولنا الآخرة. فقال تعالى (الا اجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له: كن فكان والاولى انه يقال: عامة المؤمنين أفضل من الملائكة العاديين، وخصوص

المؤمنين أفضل من الملائكة النخبة وهكذا يقول الله عز وجل: ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية) (البغوي، ١٤٢٠، ١٢٥/٣؛ الثعلبي، ١٤٢٢، ١١٤/٦)

يخبر الله تعالى عن تشريفة لبني ادم، وتكريمه اياهم، في خلقة لهم على احسن الهيئة واكملها كقوله تعالى: ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم) (التين: ٤)

يمشي منتصباً على رجليه ويتغذى بيديه، بينما تمشي الحيوانات الأخرى على أربع وتتغذى بأفواهها وله السمع والبصر والفؤاد ويفهم بها وينتفاع بها، ويميز الأشياء ويعرف الفوائد والخصائص والمقدمات في شؤون الدين والدنيا (وحملناهم في البر) وهي حيوانات كالأبقار والخيول والبغال، وعلى السفن الكبيرة والصغيرة في البحر (ورزقناهم من الطيبات) أي من زروع ونما، ولحوم والبان، من مختلف الأذواق والألوان والمعروضات المرغوبة والذوق والجميلة من جميع أنواع الملابس الفاخرة بمختلف أنواعها وألوانها وأشكالها التي يصنعونها لأنفسهم والتي يجلبها الآخرون من المنطقة وهي ممنوعة: وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) حيوانات وأنواع أخرى من الحيوانات وقد استدلت هذه الآية على أفضلية البشر على الملائكة) (ابن كثير، ٢٣٩١-٣٩٢)

المطلب الثالث: الفرق بين تفسير زبدة التفاسير للكاشاني وتفسير روح المعاني للألوسي اية ٧٠ سورة الاسراء.

لما تقدم ذكر قول ابليس (هذا الذي كرمن علي) ذكر سبحانه بعد ذلك تكرمنه النبي ادم بأنواع الاكرم وفنون الانعام، فقال: وكرمنا بني ادم) بحسب صنوف الانعام. وهي: حسن المظهر، معتدل المزاج، معتدل الجسم، فطنة فكرية، كلام، إيماءات، فهم كتابي، تهديد أسباب الحياة والآخرة، السيطرة على أشياء في الأرض، تملك الإنتاج خضوع معظم الأشياء لها الأسباب العليا والسفلى تدفق العواقب التي تعود عليهم بالنفع وأكثر من أن يتسع المجال لحصرها ومن ذلك ما ذكره ابن عباس: ان كل حيوان يتناول طعامه بغية الا الانسان، فانه يرفعه الية بيده. وقيل: تفضيلهم بان جعل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) منهم (الكاشاني، ١٢٥٠، ٥٥/٤)

ولقد كرمنا بني ادم أي: جعلناهم الطيبين والأشرار والكرماء، أي ذوي الكرامة والفضل العظيم، بلا سعة وسادة، (وحملناهم في البر والبحر) كبد رطب، عصا يابسة، دابة في سفينة، إذا أعطيته ما يركب ويحمل، فيحمله على كذا وكذا، فيقدر ما يحمله على حسب الأحوال، ونرزقهم. مع الأشياء الجيدة. للدلالة على مختلف النعم والملذات والمسرات التي تنتجها أيدينا من الأطعمة والأشياء المادية والتجهيزات والممتلكات وغيرها مما كنا نفضله فيما سبق: بالنسبة لما سبق (على كثير من خلقنا تفضيلا) عظيما، ما يعنيه ذلك هو أن الكثير من الناس لا يحظون بالاحترام بقدر ما يحظون به لأن هذه هويتهم ويقول الإمام الذي يشغل هذا المنصب أن الله تعالى قال أولاً: "ولقد كرمنا بني آدم", وقال سبحانه هنا) (وفضلناهم) ولتجنب التكرار، يجب أن يكون هناك تمييز بين الشرف والامتياز وأسهل طريقة لذلك هي: تفضيل الإنسان على سائر المخلوقات لما خلقه من فطرته، كالذكاء، والكلام، والكتابة، وحسن المظهر، وطول الجسم ثم وهبه تعالى الذكاء والفقه ليكتسب الإيمان الحق والأخلاق الفاضلة الأول الكرامة

والثاني التفوق وكأننا اعتزنا بهم من هذا المبدأ لأننا بالتعريف فضلنا أن نحصل من خلالهم على ما يؤدي إلى الخلاص والقرب (الآلوسى، ١٤١٥، ١٧١/٥)

وبحث الباحث في هذا المقام بانه تفسير الآية ٧٠ من سورة الاسراء في قولة تعالى (ولقد كرمنا ادم وحملناه في البر والبحر ورزقنهم في الطيبات وفضلنهم على كثير ممن خلقناهم تفضيلا.

في قوله تعالى «واذا قلنا للملائكة اسجد لأدام فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين» (البقرة: ٣٤) دليل على كرامة النبي ادم (عليه السلام) افضل من الملائكة، ان الله خلق ابوهم ادم وجعل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) منهم (الطباطبائى، ١٣٥٣، ١٥٥/١٣) فقال الله تعالى عز وجل: يا ملائكتي وياسكان سما واتي اني ما خلقت سماء مبنية ولا ارض مدحية، ولا قمر منيرا، ولا شمسا مضيئة، ولا فلكا يدور ولا بحر يجري ولا فلكا يسري الا في محبة هؤلاء الخمسة؟ فقال عز وجل: هم اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، هم فاطمة وابوها وبعلها وبنوها. فقال جبرائيل: يأرب أتأذن لي ان احبط الى الارض لأكون معهم سادسا؟ فقال الله تعالى: نعم، اذنت لك. فهبط الامين جبرائيل (عليه السلام) وقال: السلام عليك يا رسول الله العلى الاعلى يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام، ويقول لك: وعزتي وجلالي اني ما خلق سماء مبنية.. الخ، كما ذكر انفا، فقالت فاطمة الزهراء (عليها السلام) دخل جبرائيل معنا تحت الكساء فقال لابي: ان الله تعالى اوحى اليكم بقول: انما يرد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) فقال علي لابي يا رسول الله، اخبر نبي ما جلوسنا تحت الكساء من فضل عند الله تعالى؟ فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي بعثني بالحق نبيا، واصطفاني بالرسل نجيا، ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل اهل الارض، وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا الا ونزلت عليهم الرحمة، وخفت بهم الملائكة، واستغفرت لهم الى ان يتفرقوا: فقال علي (عليه السلام): اذن والله فزنا وفازت شيعتنا ورب الكعبة فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثانيا: يا علي والذي بعثني بالحق نبيا، واصطفاني بالرسالة نجيا، ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل اهل الارض، وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا، وفيهم مهموم الى فرج الله همه، ولا مهموم الا وكشف الله غمة، ولا طالب حاجة الا وقضى الله حاجته فقال علي (عليه السلام): اذا والله فزنا وسعدنا، وكذلك شيعتنا فأزنا وسعدوا في الدنيا والاخرة ورب الكعبة (القمى، ١٣٥٩، ٦٤٨-٦٤٩)

النتائج والتوصيات:

١- توصلت الباحثة في اراء بعض المفسرين من الشيعة ومنهم من فضل في تفسير الانسان افضل من الجن والشياطين ومنهم من قال الانسان افضل من الملائكة ومنهم من قال الملائكة افضل من البشر لانهم مخلوقات نورانية، ومنهم من فضل الانسان على جميع المخلوقات من الحيوان والجن والشياطين- والملائكة.

٢- وتمعنت في ذلك عند علماء بعض المفسرين السنة من اقوالهم على كرامة وفضل الانسان المؤمن مثل الانبياء والرسل والائمة (عليهم السلام) افضل من جميع المخلوقات حتى على البشر نفسة

٣- ووجدت في بحثي هذا بعض من اراء المفسرين الشيعة تطابق اراء بعض المفسرين السنة.

٤- واخيرا وليس اخرا انصح اخوتي واخواتي الباحثين ان ينالوا الوقت الكافي في بحث موضوع معين ودراسة تفاسير متعددة ومقارنة البعض منها مع البعض الاخر لتوصل الى نتائج افضل وفائدة ممتازة لسير الاجيال على واقع معلوم ومفهوم لننال الرحمة والثواب والله ول التوفيق، والحمد لله رب العالمين، والصلاة على اشرف الخلق والمرسلين ابا الزهراء محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

قائمة المراجع :

القرآن الكريم

- ابن كثير، احمد شاكر. (د.ت). مختصر تفسير القرآن العظيم المسمى عمدة التفسير. بيروت: دار الوفاء.
- ابوزهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد. (١٣٩٤ش). زهرة التفاسير. القاهرة: دار الفكر العربي.
- الآلوسى، شهاب الدين سيد محمود. (١٤١٥ه). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني. تحقيق: على عبدالبارى عطية. بيروت: دارالكتب العلمية.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. (١٤٢٠ه). معالم التنزيل في تفسير القرآن. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: الناشرة دار إحياء الذات العربي.
- التاودي، محمد. (١٩٧١م). حاشية التاودي بن سودة على صحيح البخاري. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الثعلبى النيشابوري، ابو اسحاق احمد بن ابراهيم. (١٤٢٢ه). الكشف و البيان عن تفسير القرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الرازي، فخرالدين. (٢٠٠٠م). التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الزمخشرى، محمود. (١٤٠٧ه). تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التأويل. بيروت: دارالكتب العربى.
- الشوكاني، محمد بن احمد. (٢٠٠٧م). فتح القدير. تحقيق: يوسف القدير. بيروت: دار المعرفة للنشر والتوزيع.
- الطباطبايى، سيد محمدحسين. (١٣٥٣ش). الميزان فى تفسير القرآن. بيروت: الأعلمى.
- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن. (١٤١٥ه). تفسير مجمع البيان. بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.
- طريحى، فخرالدين. (١٣٧٥). مجمع البحرين. تهران: مرتضوى.
- الطوسى، ابوجعفر. (١٤١٧ه). التبيان فى تفسير القرآن. قم: دفتر انتشارات اسلامى التابعة لجامعة المدرّسين.
- العسقلانى، ابن حجر. (١٤٠٢ه). فتح البارى بشرح صحيح البخارى. بيروت: دار احياء التراث العربى.
- الفيض الكاشاني، محمد بن شاه مرتضى. (١٤٢٧ه ق). التفسير الصافي. بيروت: دار المرتضى.
- القمي، شيخ عباس. (١٣٥٩ه). مفاتيح الجنان. بيروت: الناشر دار الاضواء.
- الكاشاني، فتح الله. (١٢٥٠ه). زبدة التفاسير. بيروت: مؤسسة المعارف.
- الناصري، محمد باقر. (١٩٨٠م). مختصر مجمع البيان في تفسير القرآن. بيروت: دار الزهراء للنشر.
- نخبة من اللغوين. (١٩٨٠م). المعجم الوسيط. القاهرة: مجمع اللغة العربية.

Bibliography of Arabic References (Translated to English)

The Holy Quran

- Ibn Kathir, Ahmad Shakir. (n.d.). Mukhtasar Tafsir Al-Quran Al-Azim, also known as Umdat Al-Tafsir. Beirut: Dar Al-Wafa.
- Abu Zahra, Muhammad bin Ahmad bin Mustafa bin Ahmad. (1975). Zahrat Al-Tafasir. Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi.
- Al-Alusi, Shihab Al-Din Sayyid Mahmoud. (1995). Ruh Al-Ma'ani fi Tafsir Al-Quran Al-Azim wa Al-Sab' Al-Mathani. Edited by Ali Abdul Bari Atiya. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
- Al-Baghawi, Abu Muhammad Al-Husayn bin Masoud. (1999). Ma'alim Al-Tanzil fi Tafsir Al-Quran. Edited by Abdul Razzaq Al-Mahdi. Beirut: Dar Ihya' Al-Dhāt Al-Arabi.
- Al-Tawudi, Muhammad. (1971). Hashiyat Al-Tawudi bin Souda 'Ala Sahih Al-Bukhari. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
- Al-Thalabi Al-Nishapuri, Abu Ishaq Ahmad bin Ibrahim. (2001). Al-Kashf wa Al-Bayan 'an Tafsir Al-Quran. Beirut: Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi.
- Al-Razi, Fakhr Al-Din. (2000). Al-Tafsir Al-Kabir or Mafatih Al-Ghayb. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
- Al-Zamakhshari, Mahmoud. (1987). Tafsir Al-Kashshaf 'An Haqaiq Ghawamid Al-Ta'wil. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Arabi.
- Al-Shawkani, Muhammad bin Ahmad. (2007). Fath Al-Qadeer. Edited by Yusuf Al-Qadeer. Beirut: Dar Al-Ma'rifa Lil-Nashr wa Al-Tawzi'.
- Al-Tabatabai, Sayyid Muhammad Husayn. (1974). Al-Mizan fi Tafsir Al-Quran. Beirut: Al-A'lami.
- Al-Tabarsi, Abu Ali Al-Fadl bin Al-Hasan. (1995). Tafsir Majma' Al-Bayan. Beirut: Al-A'lami Foundation for Publications.
- Tarihi, Fakhr Al-Din. (1956). Majma' Al-Bahrayn. Tehran: Murtazawi.

- Al-Tusi, Abu Ja’far. (1996). Al-Tibyan fi Tafsir Al-Quran. Qom: Islamic Publishing Office affiliated with the Teachers’ University.
- Al-Asqalani, Ibn Hajar. (1982). Fath Al-Bari bi Sharh Sahih Al-Bukhari. Beirut: Dar Ihya’ Al-Turath Al-Arabi.
- Al-Fayd Al-Kashani, Muhammad bin Shah Murtada. (2006). Al-Tafsir Al-Safi. Beirut: Dar Al-Murtada.
- Al-Qummi, Sheikh Abbas. (1940). Mafatih Al-Jinan. Beirut: Dar Al-Adhwa.
- Al-Kashani, Fathullah. (1834). Zubdat Al-Tafasir. Beirut: Al-Ma'arif Foundation.
- Al-Nasiri, Muhammad Baqir. (1980). Mukhtasar Majma’ Al-Bayan fi Tafsir Al-Quran. Beirut: Dar Al-Zahra Lil-Nashr.
- A Group of Linguists. (1980). Al-Mu’jam Al-Wasit. Cairo: Academy of the Arabic Language.